

من الشك واليقين والحلم والجهل والهدى والضلال ، وان الانسان لا يكون خيرا محضا ولا شرا محضا ، وانما بقاؤه في أن تكون سرائره مسرحا لنوازع الغي والرشد والبر والفجور . ولكن أريد أن أقول : ان اكثر الاصبهاني من تتبع سقطات الشعراء ، وتلمس هفوات الكتاب ، جعل من كتابه جوا مشبعا بأوزار الاثم والغواية ، وأذاع في الناس فكرة خاطئة هي اقتران العبقرية بالنزق والطيش والخروج على ما ألفت الجماهير من رعاية العرف والدين .

أما الناحية الثانية فهي خاصة بكتاب الاغاني : تلك الناحية هي وضع ذلك الكتاب ففي مقدمته عبارات صريحة في الدلالة على أن مؤلفه قصر اهتمامه أو كاد على امتاع النفوس والقلوب والاذواق : فهو كتاب أدب لا كتاب تاريخ . وأريد بذلك أن المؤلف أراد أن يقدم لأهل عصره أكبر مجموعة تغذى بها الاندية ومجامع السمر ومواطن اللهو ومغاني الشراب . وانه ليحدثنا في المقدمة بأنه أتى في كل فصل من كتابه بفقر اذا تأملها قارئها لم يزل متنقلا بها من فائدة الى مثلها ، ومتصرفا فيها بين جد وهزل وآثار وأخبار وسير وأشعار ، متصلة بأيام العرب المشهورة ، وأخبارها المأثورة ، وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الاسلام . وأخبرنا بعد ذلك بأنه اهتم بالغناء الذي عرف له قصة تستفاد وحديثا يستحسن . وعلل ذلك بقوله : « اذ ليس لكل الاغاني خبر نعرفه ، ولا في كل ما له خبر فائدة ، ولا لكل ما فيه بعض الفائدة رونق يروق الناظر ويلهي السامع » .

وأحب أن يتأمل القارئ قوله : « رونق يروق الناظر